
ميسره الدنداوي
حارس
صفحات مفقودة
كتوبيا

مشهد افتتاحي

نهار - داخلي

قصر الملك - مدينة واست

العاشر من خنتي عام ألف وثلاثمائة وثلاث وعشرين قبل الميلاد

مشت إست نفرت في طريقها المعتاد من باب مخدع الخدم، لتعبر الممر الواصل بين غرفة الملكة عنخ إسن آمون، وغرفة الوصيفة الأولى، ثم تنحرف يمينا إلى الغرفة الأهم في ذلك القصر المنيف. غرفة الملك.

تتنحنح كالمعتاد، ثم تهمس بصوتها العجوز الهادئ للحارس المتسلح برمح خشبي ذي قمة برونزية لامعة.

- هل استيقظ مولاي الملك؟

فيبتسم لها الحارس ابتسامة ودودا، ثم يعود إلى وضعه الجامد المنتصب مجيبًا:

- مولاي لا يستيقظ إلا على صوتك يا سيدتي .. كما هي العادة.

إذن فأعطني الإذن بالدخول يا بني.

إست نفرت، العجوز الحنون ذات الستين عامًا، والتي رافقت الملك الشاب منذ أن كان رضيعًا غضًا في مخدع أمه الشابة، زوجة أخناتين الأقل حظًا، وظلت ترافقه حتى تحول إلى ملك مصر وهو بعد ابن أحد عشر عامًا.

الملك الذي كان يملك، ولا يحكم.

الملك الذي وضعه خبرو أي على العرش وهو ما زال طفلًا، كي يحكم من خلفه هو وقائد الجند. تنحنحت من جديد، ثم اقتربت في هدوء من المخدع الملكي.

الملك الشاب مريض، مريض بشي لا يعرفه أحد، لكنه مؤخرًا أصبح يهذي بلا توقف في فترات الحمى.

بالأمس أمسكها من ردائها الكتاني البسيط، وقربها نحوه وهو يهمس بعينين مجنونتين كعيون الذئب:

- إست نفرت .. إنهم ينون قتلي .. بحق أوزير ينون قتلي.

فتربت على كفه المعروقة ذات الأصابع الطويلة وهي تقول في حنان:

- مولاي .. أنت ملك كيمت .. ولا أحد في واست أو في بر النهر العظيم كلها يقدر على مسك بسوء.

- ومن قال أنه أحد .. من قال!

ثم يقترب وجهه من وجهها حتى تكاد تشم أنفاسه الملوثة كريهة الرائحة:

- إنهم يريدون العرش .. العرش فقط!

- من هم يا مولاي؟

- كلهم .. عنخ أسن .. وأي .. وحتى حورمحب .. حورمحب الذي ضرب أبي بالحربة بعد ما كان أقرب أصدقائه.

ثم ينهار جسده من الإعياء فوق الفراش وهو يسعل بلا انقطاع.

راحت تصلي في سرها للرب الواحد كي يحمي ابنها الروحي، ويبعد عنه الشرور والأسحار، وتعهدت أن تسافر إلى الجنوب، إلى منزل تحوتي المعلم، كي تأتيه بترياق يشفيه من هذا المرض، أو أن تسافر إلى شمال كوش وتلجأ إلى إست الطاهرة، وتطلب منها الدعاء للفتى بالشفاء.

أو الراحة من آلامه.

كانت تعرف أن آمون، ومن على شاكلة آمون، ومن يخدمون في قصر آمون القصي خلف ساحة الأعمدة، ليسوا سوى هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم آلهة، أو أشباه آلهة، وقارعوا الرب الواحد في سلطاته على الأرض، ولم يصونوا نعمته التي انعم عليهم بها، بأن جعلهم يجرون الرياح أو يسقون الأرض في غير مواعيدها، أو أن يملك الرجل منهم قوة قطيع ثيران، أو أن يطير بجناحين من ذهب، أو أن يلقى به في النار فلا تمسه بسوء.

لم يشكروا الرب على نعمته، بل أخذتهم العزة وسكرهم خمر القوة والسلطة، فرسموا نفسهم آلهة أو شبه آلهة، وصنعت لهم التماثيل والمعابد.

إلا تحوتي المعلم، وإست المباركة، وماعت العادلةالحافظة، وخونسو حامي المسافرين، وحتحور صانعة الفرحة والسعادة.

وأنبو قارئ الموتى.

لكن البقية لم يشكروا الرب ولم يحفظوا أوامره التي أنزلها على رأس جب ونوت، لم يحترموا تعاليم بتاح وعهود أوزير المباركين، وما أن رحل أوزير إلى الجنوب كي يموت على ذراع

إست منذ ألفي عام، حتى انقلبوا عليه ونقضوا عهده، ونصبوا انفسهم آلهة. حتى الرجل الشريف الذي قال:لهم لا، انقلبوا عليه، وذبحه قائد جنده ووزيره تحت قدمي شيطان الصحراء، وبمباركة آمون ورع.

اقتربت من الفراش أكثر، وراحت تطرد أفكارها التي شربتها وتشبعت بها من سيدها السابق أبي الغلام الملك، وراحت تنادي بصوت كادت لا تسمعه:

- مولاي .. كيف حالك اليوم يا مليكي وملك كيمت؟

لا إجابة!!

تتنحنح، وتقترب، لكنها لا تشم رائحة أنفاسه كالمعتاد، ولا تسمع صوت السعال ولا صوت الأنفاس المضطربة التي تجوب صدره المريض.

- مولاي .. هل أنت بخير يا بني؟

ثم للمرة الأولى، وقبل أن يسمح لها الملك الشاب، وبعد أن التهم القلق قلبها وعقلها، تجاوزت ذلك الحاجز المصنوع من الحرير الشفاف، حتى يطمئن قلبها على مليكها وابنها الروحي المسكين. لكنها ما أن أزاحت الغلالة، حتى جحظت عيناها، وتدلى فكها رعبًا.

ثم راحت تصرخ .. تصرخ.. بلا انقطاع..

والدماء الحمراء ما زالت تسيل من رأسه..

بلا انقطاع ..

الحلقة الرابعة

صفحات مفقودة

المشهد الأول

ليل – خارجي

كافيتريا بازل - مصر الجديدة

مساء الرابع والعشرين من فبراير عام ألفين وثلاثين

جلست سمر تراقب ذلك البريطاني ذو العينين الرماديتين وهو يقلب كوب الإسبريسو بالملعقة الصغيرة.

- هو أنت بتقلب ايه .. أنت ما حطتش سكر على الإسبريسو عشان تقلبه.

ابتسم ابتسامة باهتة صنعت لوحة عديمة الألوان فوق وجهه الشاحب، ثم أخرج الملعقة من الكوب ولعقها بلسانه متلذذًا:

- أصل أنا بحب طعم القهوة على الملعقة جدًا.

حتى الآن، لم تستطع سمر أن تكون فكرة عن ذلك المخلوق.

لقد كان لطيفًا معها للغاية، ومهذبًا جدًا، حتى أنه تركها تختار مكانًا مزدحمًا مثل بازل، ذلك المقهى الأوروبي الطراز، والذي يقدم خدمة لأربع وعشرين ساعة في مكان إستراتيجي بالقرب من ميدان هليوبوليس.

بل وما أثار دهشتها -أو ربما غيظها- أنه بدا أنيقًا جدًا ومهندمًا جدًا، رغم أنه خاض شبه عراك مع مسعد المسكين منذ ربع ساعة، لكن معطفه وقبعته كانا في غاية الأناقة والنظافة، وكأنه

اشتراهما للتو. جرعت تلك الجرعة الأخيرة في كوب الكابتشيو، ومسحت شارب رغوة الحليب، ثم قالت:

- طيب .. حضرتك طلبت نقعد في مكان هادي ونتكلم .. وادينا قعدنا .. ممكن اعرف ايه سر المقابلة الغريبة المريبة دي .. وايه الموضوع اللي أنت عايز تتكلم فيه؟

وضع كوب الإسبريسو فوق الطبق، ثم عقد كفيه وقال دون أن يرفع عينيه عن رخام الطاولة الأبيض:

- محمد حارس جاد المولى.

- بتاع مباحث القاهرة الجديدة .. ماله؟

رفع عينيه الرماديتين نحوها وقال:

- قريب أوي هيتهموه في جرايم القتل الأربعة اللي المفروض إنه بيحقق فيهم .. بس أنا عارف إنهم هيداروا على القضية .. وهيكتموا الأخبار عن الصحافة والميديا.

ابتسمت ساخرة وقالت:

- أنت جاي من القرن العاشر يا سيد سميث .. دلوقتي السوشيال ميديا ما بترحمش حد .. وحتى لو كتموا الخبر عن الصحافة .. هيطلع عليه ألف بوست وألف تويتة.

ثم فطنت لغرابة المعلومة للمرة الأولى، فلا بد أن عقلها المنهك قد صار يستوعب ببطء، فقالت مندهشة:

- ثم أنت جبت المعلومة دي منين؟ وايه اللي خلاك واثق منها بالطريقة دي؟

- ده موضوع ثانوي .. لكن الموضوع الرئيسي هو محمد حارس نفسه.

ثم عقد كفيه من جديد وصوب نظراته الحادة إلى وجهها وقال في هدوء بارد كثلوج ألاسكا:

- كل حاجة بتحيط بمحمد حارس غريبة وغير منطقية .. زي مثلًا الفترة اللي قضاها بين تخرجه من الكلية وبين بداية خدمته في مباحث عين شمس .. كان فين وبيعمل ايه؟

- ما جايز يكون كان بيخدم في جهاز أمني سري .. أمن دولة .. مكافحة إرهاب.

تذكر انك حملت رواية حارس صفحات مفقودة حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك

خرجت من بين شفتيه ضحكة مكتومة، لكنها بدت لسمر كضحكات الضباع التي سمعتها في عالم الحيوان وهي طفلة ثم قال بنفس الهدوء القاتل:

- مفيش سجلات ليه في أي جهاز امني سري عن الفترة دي .. ولا في أي جهاز بالمرة .. كأنه .. كأنه..

ثم ارتفعت عيناه ناحية السماء وقال وهو يراقب القمر خافت الإضاءة:

- كأنه نبت من بطن الأرض.

ضحكت سمر في سخرية، ضحكة عالية متوترة، ثم أخرجت علبة سجائرها، وأشعلت واحدة بقداحتها السوداء.

- مستر سميث .. ممكن أعرف أنت عايز مني ايه بالضبط؟

- عايزك تاخدي كلامي ده ثقة .. وتبدأي تفتشي في ماضي محمد حارس .. لأنه مش بعيد يكون مجرد سفاح مريض .. اتزرع في وسط أهم جهاز أمني في مصر .. عشان غرض محدش يعرفه.

نفثت دخان سيجارتها وهي تزنه بعينيها ذات الرموش القصيرة، وقالت:

- وآخد كلامك ثقة ليه .. بصفتك ايه؟

- بصفتي مفتش سكوتلانديارد المكلف بالتحقيق من جلالة الملك في القضايا .. بالذات آخر جريمة.

- السير مهدي طبعًا.

أومأ برأسه بهدوء، فنفثت دخان سيجارتها من جديد في الفراغ أمام وجهها، وما أن انقشع الدخان، حتى وجدته يخرج بطاقته الائتمانية، وبطاقة أخرى سوداء اللون كمعطفه وقبعته.

- ده الكارت بتاعي .. فيه رقمي الشخصي .. يا ريت لما توصلي لحاجة تقوليلي .. وبالنسبة للسبق الصحفي .. انشري اللي أنتِ عايزاه وبالأسماء .. لسه مفيش حظر نشر في الموضوع.

ثم نهض وهو يضم طرفي معطفه، ويغلق أزراره في هدوء، فقالت سمر:

- واشمعنى أنا يا مستر سميث .. اشمعنى مش أي صحفي

تاني؟

- ار اين .. أنتِ اونين؟

ابتسمت في سخرية وتابعت:

- ده أنت متابع بقى.

وضع قبعته القديمة الشبيهة بقبعة جون ديلنجر، ولمس طرفها محييًا، ثم غادر المكان.

غادر بعد غرس بذور الشك والفضول والحماس

مباشرة في رأس سمر.

*****

المشهد الثاني

نهار – داخلي

منزل العقيد محمد حارس جاد المولى - مصر الجديدة

صباح السادس والعشرين من فبراير عام ألفين وثلاثين

راح محمد حارس يتقلب في فراشه كالمحموم.

عرقه الغزير يغرق الوسادة من تحت رأسه، فيحولها إلى عجين من القماش والإسفنج، وقدماه الكبيرتان ترتجفان رجفة تهز الفراش كله من تحتهما.

بينما داخل عقله، كان الأمر أكثر إثارة.

فهناك، في غياهب عقله النائم في سبات عميق، كان الحلم

يتطور أكثر فأكثر.

رأى نفسه يساق إلى منصة رخامية، رخامها له لون لا هو بالأبيض ولا بالأصفر ولا بالرملي.

ومن فوق رأسه، يأتي شعاع الضوء الهابط من السماء عبر فتحة البئر، وتلك الحدأة تحلق فوق فتحة البئر وهي تنوح بلا انقطاع، فيعظم عمق البئر صوتها ليتحول إلى صفارة إنذار عملاقة.

وفوق المنصة، يقف رجل نحيل، لكن عضلاته لا تحوي غلطة تشريحية واحدة، وكأنما هو تمثال صنع بيد نحات واقعي من عصر مايكل أنجيلو.

لكن الرجل لم يكن رجلًا بالمعنى الكامل.

ففوق كتفه العريضة، الخالية من الشحوم، تقبع رأسهالتي تحمل منقارًا طويلًا حادًا، وعينين واسعتين.

رأس طير بمنقار فوق جسد آدمي مشدود الجلد والعضلات!!!

الغريب في الأمر، أنه شعر بأن الرجل يبتسم له، وهو لا يعرف كيف يبتسم المنقار؟!!

سمع الصوت في جنبات عقله، صوت هادئ لطيف تحب سماعه كأنه صوت غناء آلاف البلابل.

- مرحبًا بك .. انتظرناك .. وقد حان موعدك.

ثم التفت إلى يساره، ليجد امرأة فاتنة نحيلة صارمة الوجه، عيناها خضراوان بلون حقول البرسيم، ورقبتها طويلة مصقولة كشجر الموز.

- لقد انتهت رحلتك يا عزيزي .. انتهت.

ثم رآها تنظر في افتتان إلى صاحب المنقار، وتومئ برأسها له:

- رحلتي لم تنته بعد أيتها الجميلة الصارمة .. لم تنتهِ بعد.

لم يحرك شفتيه حتى يقول الكلمات، بل حتى لم يهمس بها، وفجأة سمع الأنفاس، أنفاس لا هي بالبشرية ولا بالحيوانية، بل هي خليط من لهاث كلب، وذئب، وذلك الزئير المكتوم لأسد راض ممتلئ البطن.

حاول أن يلتفت، لكن الرجل ذا المنقار همس له في حنان:

- لا تعترض .. واقبل .. تقبل.

حاول أن يعترض، يعترض على ماذا، هو لا يعرف، لكنه يريد أن يعترض

دائمًا يعترض، دائمًا ما كان الاعتراض هو وسيلته.

حتى عندما ماتت زوجته، لم يفعل شيئًا سوى أن يعترض.

عندما وضعوه في منصبه الذي يستحقه منذ خمس سنوات، وخسره بسبب الاعتراض، اعترض جسده البالي.

والآن، تعترض كل خلية في جسده، وتطالبه الآن بالرحيل.

لكنه الآن لن يعترض.ح

فلربما انتهت رحلته بالفعل، ولربما كانت الخلايا على حق، وهذا الرجل ذو المنقار على حق، وتلك المرأة الجميلة الحازمة على حق.

وصاحب اللهاث الحيوابشري على حقبدليل أنه وهو غارق في أفكاره، شعر بيد تلمس ظهره، ثم تغوص في جسده الغارق في العرق.

نحو قلبه مباشرة

وصوت الرجل ذي المنقار يدوي في رأسه:

- أقبل .. تقبل .. أقبل .. تقبل.

واليد تغوص، وتلمس قلبه المنهك محترف القسطرة، الغارق في الدعامات.

ثم فجأة، شعر بذلك القلب يغادر مكانه عنوة.

فصرخ.

وراح يصرخ ويصرخ ويصرخ..

حتى استيقظ غارقًا في عرقه.

انتصب نصفه العلوي فوق الفراش، وعيناه لا تعيان من محيطها سوى الباب نصف الموارب، وأذناه تسمعان الصوت يدوي فيهما.

أقبل .. تقبل.

راح يتنفس ببطء وهو يمد يده المعروقة نحو صدره، ليشعر

بقلبه المريض يضرب قفصه الصدري بلا رحمة.

وبلا سابق إنذار، انطلقت آلاف الإبر الضوئية تغزو عينيه المنهكتين

- سعاد .. اطفي النور ابوس ايدك.

فتنظر سعاد إليه من فوق عويناتها، ثم تتقدم نحوه وعلى وجهها سمات القلق:

- مالك يا محمد .. نفس الكابوس تاني؟

- اه .. هو نفسه.

- طب مش ناوي تروح لدكتور نفسي بقى وتريح نفسك؟

نظر نحوها في استنكار، ويده ما تزال تحجب الضوء عن عينه:

- دكتور نفسي .. وبدل ما أطلع من الخدمة مستقيل ..أطلع مجنون!

- وايه الفرق .. ما أنت كده كده طالع!

ثم جلست على طرف الفراش، وضمت شالها الصوفي حول رقبتها وهي تنظر إليه.

رأى في عينيها ذلك البريق..

البريق الذي انطفأ في عينين كان يهيم بها..

بريق انطفئ بعد الأقراص، والمحاليل الغامضة، والعمليات الفاشلة، وجلسات الكيماوي، والإشعاع، وآلاف من الليالي بلا طعام وبلا نوم.

لذا، فهو لا يريد أن ينطفئ بريقه.

سيرحل بلا ألم، بلا أدوية، بلا عمليات، بلا إشعاعات، بلا عقاقير مستحدثة.

لن يجلس فأرًا لتجاربهم، وعبدًا للأمل الزائف.

كما فعل هو بها.

- أعملك شاي؟

- ها .. بتقولي حاجة؟

ابتسمت سعاد ابتسامتها الواهنة، وقالت:

- بقولك اعملك شاي؟

- اه .. شاي .. الشاي حلو .. هشرب شاي.

نهضت في بطء، ومشت متثاقلة نحو المطبخ.

بينما مد يده إلى علبة سجائره، واشعل واحدة، ثم سحب نفسًا عميقًا وضربه في الهواء أمامه

ميتة سريعة، نظيفة، بلا ألم، وبلا معاناة.

وراح يراقب الدخان المتصاعد نحو السقف ساهما بعينين محمرتين، بينما أذناه تلتقطان الأصوات القادمة من خلف باب غرفة النوم.

صوت جرس الباب المزعج، ثم صوت خطوات سعاد البطيئة تزحف فوق الأرضية العارية بقدمين تنتعلان حذاء دوالي الساقين المرن، ثم صوت دقات ساعة الصالة البندولية على خلفية مخمل الصمت الأسود، ثم صوت الزحف العجوز من

جديد يصحبه صوت دقات حذاء نسائي عريض الكعب، ثم صوت نحنحة سعاد خلف الباب، ثم صوتها الواهن يقول:

- محمد .. اطفي السيجارة يا ابني وقوم البس حاجة تقيلة .. جالك ضيف وقعدته في البلكونة .. يالا على ما أعملكم القهوة.

يجلس على طرف الفراش، ويزفر في ملل.

تذكر انك حملت رواية حارس صفحات مفقودة حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك

منذ أن كان مراهقًا صغيرًا يتيمًا يعيش في منزل اللواء إبراهيم الهادئ، وهو لا يحب الضيوف ولا ما يأتي به الضيوف، ولا ما قد ينتج عن زيارات الضيوف. حتى عندما كبر وتزوج، لم يحب الضيوف، وخاصة ضيوف المرض والعزاء والموت.

- ضيف مين يا سعاد .. أنا مش مستني حد.

- قوم البس حاجة تقيلة واستقبل ضيفتك .. يالا ماتغلبنيش.

سحب آخر أنفاس السيجارة، ثم دفنها وسط أخواتها في منفضة السجائر.

- ضيفة كمان .. دي مين بقى الضيفة؟

- واحدة بتقول إنها صحفية وإنها تعرفك كويس وعايزاك في موضوع مهم.

انعقد حاجباها الكثّان حتى صنعا خطًا اعتراضيًا أسود فوق

عينيه:

- صحفية وتعرفني كويس .. اسمها ايه؟

رفعت سعاد صوتها إلى أقصى درجاته وقالت:

- اسمها سمر .. سمر غنيم.

*****

المشهد الثالث

نهار – داخلي

مقر المقدس آمون - مدينة واست

الحادي عشر من خنتي عام ألف وثلاثمائة وثلاث وعشرين قبل الميلاد

انعقد المجلس الأعلى لمستشاري الملك

صاح بها الحاجب البدين، مترهل الكرش، بصوت مرتفعغليظ، بالقرب من أذني كاتب الجلسة، فظهر الانزعاج على وجه الأخير، ومنحه نظرة صارمة لائمة، ليتوارى الحاجب خلفه في خجل.

انعقد المجلس الرباعي الموقر، انعقد كي يبت في أمر وفاة الملك الصغير ذي التسعة عشر عامًا في فراشه صباح الأمس.

إذا درت ببصرك في الوجوه والعروش الذهبية الصغيرة، ربما تميز وجوههم البهية.

باستيت، القطة الحسناء المباركة في ردائها الأبي القصير، ورع المبارك يشع نورا من الضوء المنعكس على أجنحته الذهبية والحلية المتدلية من رقبته على صدره المشدود، وحور ابن

أوزير، حامي الملك ومستشاره الأول، صاحب العين الواحدة، والذي فقد عينه الأخرى في معركته الحاسمة مع المارق اللعين القادم من الغرب.

وفي صدر القاعة، فوق عرشه الذهبي اللامع ، يجلس آمون المقدس. أو الذي صار مقدسًا!

أراك تضرب اخماسا في اسداس، وتسأل نفسك في همس من الخجل -أو ربما من بهاء الموقف وهيبته- لماذا لا يشيخ هؤلاء الأوغاد، رغم أن اصغرهم، حور ابن أوزير، بلغ من العمر آلاف السنين.

ولك أقول، أننا نعيش الحياة في دورات لا تنتهي يا عزيزي، دورة بعد دورة، تشيخ أجسادنا ولا تشيخ عقولنا، ونبلغ المائة عام، ثم نذهب إلى بيت المبارك بتاح، لنفعل ما علمه له رسول الرب الواحد، فتعود أجسادنا مراهقة شابة، وتنمو من جديد في دورات ودورات.

لكن عقولنا لا تصبى ولا تشيخ، ونفقد أطرافا وأعضاءً إذا فقدناها بلا أن تنبت لنا غيرها.

لذا، سترى رع وكأنه ما يزال رجلًا صلبًا، وحور ما يزال مراهقًا في أول أيام البلوغ، بعين واحدة، والعين الأخرى يغطي فراغها قطعة من الذهب اللامع، وباستيت ما زالت في بهائها وألقها، وآمون ما يزال رجلًا حكيمًا.

أو هكذا يدعي.

يتنحنح آمون، وينظر إلى الوجوه الجالسة حوله، ثم تدور عيناه

الضيقتين في القاعة، حتى تقف على وجه الوزير الأول.

الحاكم الفعلي لكيمت من خلف عرش الملك توت عنخ الشاب.

خبر خبرو أي.

وزير الملك الأول، ووزير أبيه المغدور آخناتن، والرجل الذي تمتد أياديه كالثعابين في كل جحر من جحور إمبراطوريتنا العملاقة، يخرج صوت آمون مهيبًا، عاليًا، قويًا، قاطعًا:

- أيها المبجل أي .. جئتنا كي نبت في أمرين .. فهلا أفضت وقصصت علينا ما تريده.

ابتسم الكاتب المقرفص فوق مصطبته ابتسامة ساخرة باهتة، فمنذ أن أصبح آمون قائدًا لهذا المجلس، بعد أن رحل المبارك أوزير، وهو ما يتحدث بتلك الطريقة المضحكة، حتى يجعل من نفسه مهيبًا حكيمًا، يبلع أي ريقه، ثم يقول في مهابة:

- الأمر الأول يا سيدي المقدس هو أرملة الملك الشاب .. لقد فقدت صوابها .. وراسلت ملك الرعاة .. تريد أن يزوجها من ابنها .. ثم تأتي به على العرش جوارها ..

ثم رفع صوته وهو يلوح بيده عاليًا، وصلعته الملساء تلمع في ضوء الشمس المتسرب من سقف القاعة.

- ملك من الرعاة على عرش كيمت المبارك .. أي جنون هذا!

نظر آمون نحو رع، فأومأ الأخير برأسه موافقًا، ليلتفت آمون من جديد إلى أي:

- أما هذا الأمر .. فقد حكمنا فيه منذ أن مات الملك الشاب ..

ثم رفع ذراعه الضخمة، وأشار بأصبعه إلى الشاب حور، الجالس على يساره:

- يتزوجها المقدس ابن المقدس حور ابن آوزير .. حتى تأتي بوليد ملكي بدم ملكي يجلس على العرش.

لكن حور أجاب بلا تردد:

- لا ملك إلا من أهل كيمت .. ولا نقض للعهد.

نظر له آمون في حدة بينما قال رع:

- أي عهد هذا يا حور؟

- عهد أبي أوزير .. لا يحكم كيمت إلا أهل كيمت .. ولاخلطة نسب بيننا وبينهم.

- لكن يا بني إنه ...

- لا نقض للعهد .. انتهى كلامي.

بينما جلس أي وعلى وجهه تلك الابتسامة المداهنة اللزجة، يراقب العتاة الأقوياء وهم يتعاركون فيما بينهم، بينما يحمل هو في طيات عقله ذلك الحل الذي لا مناص منه.

- أنت تخالف أمري يا حور!

- إذا كان أمرك مخالفًا لعهد بتاح وعهد أوزير .. فبها.

نهض آمون غاضبا، فانتصبت قامته الطويلة، المهيبة، والتمع جسده الأسمر نصف العاري بالضوء الأزرق الذي يشع من خلايا جسده.

- أصرت تعلمني العهود وكيف أوفي بها يا حور.

لكن حور لم يتحرك، بل لم تهتز فيه شعرة في رأسه، بل قال في برود وثبات وهو ينظر إلى آمون بعينه الواحدة اللامعة:

- اجلس يا عماه ولا تجعل الغضب يعميك عن الحق.. واعلم أني لا أخاف أحدًا سوى الرب الواحد الخالق .. فلا تشع عليَّ ضوئك الأزرق لأنه لا يؤثر فيَّ.

ثم أشار إلى الغطاء الذهبي الذي يحتل مكان عينه التالفة:

- فأنا أملك عينًا واحدة فقط .. تذكر ذلك.

زمجر آمون غاضبًا، لكن صوتًا ناعمًا ساحرًا أتى من الطرف الأيمن للقاعة يقول في حزم:

- يكفي هذا يا عماه .. فنحن لم نجتمع هنا كي نتعارك.

التفت آمون غاضبًا نحو باستيت، ليراها تبتسم ابتسامتها الواسعة الخبيثة، بينما مخالبها الخمسة تخرج من أصابعها وتحك الفضة اللامعة أسفل مسند عرشها.

- ثم إن ضيفنا العجوز قد بدأ يمل من هذا الخلاف ..وقد جاءنا للمشورة .. فنسيناه كأنه لم يوجد.

ابتلع أي الإهانة مع ريقه، ونظر نحو آمون:

- لدي حل للمعضلة يا سيدي .. ربما كان الحل الأفضل ..

- إذن فقله ولا تطل المقدمات.

قالها رع وهو يتحفز متوترًا من أثر الخلاف، فقال العجوز الأصلع:

- أتزوج أنا الأرملة .. فأنا من نسل يويا المبارك .. دمي من ملوك كيمت .. وأعرف كيف أخدم أهل كيمت وشعبها.. وبهذا يكون الملك من أهل كيمت كما قال العهد .. ومن نسل الملوك الذي باركه آمون .. ورجل يعرف كيف يدير شئون البلاد ويحميها.

هز رع رأسه مستحسنًا، بينما هدأ الوهج الأزرق من جسد آمون، وجلس على عرشه ينظر إلى باستيت، التي هزت كتفيها بلا مبالاة، ولسان حالها يقول «افعلوا ما تشاؤون فلا أهتم»

- وما رأي حور المبارك؟

تجاوز حور اللهجة الساخرة الغاضبة:

- رأيي ما تراه يا عماه .. طالما لا يخالف عهدا تعهدنا به لبتاح وأوزير.

كاد أي أن يضحك ساخرًا ملء شدقيه، وأن يقول لحور أن جلستك هذه على عرش ذهبي، تدعي فيها القداسة، وتسمح لهذين الرجلين أن يحكما الامبراطورية من دون الملك، وأن يأمرا وينهيا ويباركا نسلًا دون نسل، هي مخالفة صريحة لعهد بتاح وعهد أوزير.

لكن ابتسامته المداهنة لم تتغير.

- إذن فقد اعطينا الإذن .. وبالإجماع .. ويعقد الزواج الملكي في أسرع وقت.

- بعد أن تقام جنازة الملك الشاب.

زفر آمون في ملل بعد أن اخترقت جملة حور سلامه وسكينته فقال:

- بعد أن تقام الجنازة.

أومأ أي برأسه الأصلع موافقًا مطيعًا خانعًا، ثم قال في تردد وكأن حروف كلماته تدفع بعضها بعضًا لتخرج من بين شفتيه:

- ولكي تقام الجنازة في أسرع وقت.. لا بد أن نحصل على مباركتكم.

- على ماذا؟

- على تحنيط ودفن الملك الشاب.

وكأنما كلماته كعصا من البرونز ألقاها فوق أرضية القاعة الملساء في قلب الصمت، رنت كلماته في القاعة لينظر له حور في غضب، بينما أدار آمون وجهه إلى السقف الملون، وهرشت باستيت خلف أذنها، وخفض رع رأسه وهو يقول:

- أنت تعرف القواعد يا أي.

- لكن يا سيدي .. مولاي الملك توت مات في فراشه من الحمى .. والكهنة المباركون يجهزونه الآن للتحنيط وقد...

- أنت تعرف القواعد يا أي.

هذه المرة قالها حور في صرامة، وعينه الواحدة تتسع وتلمع في غضب، حتى ظن أي أنه سينقلب صقرًا غاضبًا في هذه اللحظة، ويضرب بمنقاره الحاد وجهه العجوز، كما فعل بعمه الشيطان منذ آلاف السنين.

- لكن يا سيدي المبارك .. إنه ..

- لا مخالفة للقواعد يا أي.

ثم استراح في جلسته وقال لهجة حاسمة حازمة، لا تقبل النقاش:

- لا بد من وجود الملكي .. أنبو قارئ الموتى ..

بينما قال آمون في صرامة:

- كما قال حور.

ثم أكمل هامسًا من بين أسنانه الضخمة الصفراء:

- إنها القواعد اللعينة.

*****

المشهد الرابع

ليل – خارجي

مقهى ستاربكس - مدينة السادس من أكتوبر

مساء الثامن والعشرين من فبراير عام ألفين وثلاثين

جلست إيرين على مقعد في الهواء الطلق، تمسك بيدها كوب الكابتشينو العملاق، وتراقب المطر المتساقط برقة على الأرضية

الحجرية، أمام ذلك المقهى.

تجلس ملتحفة بمعطف صوفي عملاق، يكسبها مظهرًا شبيهًا بفزاعة الحقل، وجسدها النحيف تسري فيه رجفة من أثر النسيم الشتوي الذي يهب مع الأمطار، وعيناها الواسعتان تغيبان في التفاصيل الصغيرة.

قطرات المطر الرقيقة الهادئة، وتلك الفتاة الجميلة التي ترتدي قلنسوة صوفية فوق شعر كستنائي ناعم، لتبدو مثل بطلات القصص، وتلك القطة الشهباء التي تحاول الاحتماء من المطر تحت سيارة فارهة.

وصوت ميري الذي يرن في أذنها منذ أن اتصلت بها صباح اليوم:

- أنتِ مش هتصدقي أنا وصلت للبحث ده ازاي .. وربنا أنا لو بجري على وثيقة عسكرية من الحرب العالمية الثانية ما كنتش بذلت المجهود ده.

- ميري .. ما تحاوليش تبعيلي حاجة مش هشتريها .. وعشان أنا عارفاكِ محظوظة.. فأنا متوقعة إنك لقيتيه متغلف في ورق جرايد ومرمي قدام باب بيتكم الصبح.

فتزمجر ميري غاضبة، وتنعتها بصفات لا تقوى على ذكرها بينها وبين نفسها:

- هو الحقيقة بعد ما نبشت وقلبت ودورت .. الظاهر حد صعبت عليه البنت الكيوت الغلبانة .. وبعتلي نسخة من البحث على البيت.. محطوطة في ظرف بني كبير.

- شفتِ إني حافظاكِ كويس يا بنت خالتي.

سبتها سبة بذيئة، ثم أغلقت الخط في وجهها، وأتتها بالبحث المذكور إلى المنزل بعدها بساعة.

ملفوفًا في ورق جرائد!!

ابتسمت للدعابة التي تعمدتها ميري، ثم أخرجت هاتفها المحمول لتنظر إلى الساعة:

- هي الناس ما بتحترمش مواعدها ليه؟

- أنا هنا يا دكتورة .. بس الركنة صعبة زي ما أنتِ عارفة.

فاجأها صوت كريم لبيب من خلفها، حتى أنها كادت تسقط هاتفها على الأرض نصف المبتلة، لكنها لم تلتفت نحو كريم، الذي دار حول الطاولة، وسحب مقعدًا معدنيًا جلس عليه في مواجهتها تمامًا:

- مساء الخير .. عاجبني جدًا اختيارك للمكان والأجواء .. وكاننا طالعين في موعد رومانسي.

ابتسمت رغمًا عنها، وهي تتذكر كيف كان الدكتور علام يكره الأمطار والأجواء الغائمة:

- أنا كنت اعرف حد .. لو كان النهاردة نهاية العالم .. وهو بايده ينقذ البشرية كلها .. كان يستحيل يخرج من بيته في الجو ده. الدكتور علام .. مش كده؟

شعرت بقليل من التوتر، وعدلت عويناتها، حتى أن كريم شعر بالموجة المتوترة، فقال مغيرًا مسار الحوار:

- طيب خلينا في المهم .. ايه موضوع البحث ده؟

- الصراحة يا كريم أنا قريت بس أول خمس صفحات ..

ثم قطعت كلامها عندما تنبهت أنها للمرة الأولى، تنادي كريم باسمه المجرد بلا ألقاب:

- عادي ما أنا اسمي كريم .. لا كريم باشا ولا كريم بيه .. ولا حضرة الضابط ولا الجو ده .. كملي ربنا يكرمك.

لامت نفسها لأنها قطعت كلامها، وإن لم تخفي إعجابها بسرعة بديهته وذكائه:

- زي ما بقولك .. قريت أول خمسين صفحة .. والحقيقة اتخضيت.

- اتخضيتِ ازاي يعني؟

- الموضوع ما طلعش بس بحث في أصول الجنس الخارق اللي بيحكوا عنه ده .. لا .. الموضوع طلع أكبر من كده بكتير.

أخرج كريم جهاز التدخين الإلكتروني من جيب سترته، وضغط زر التجهيز وهو يسألها دون أن ينظر لها:

- أكبر لأي مدى يعني؟

- ايه ده .. ده اختراع جديد للموت.

نظر للجهاز مبتسمًا، ثم قال:

- لا ده جهاز تدخين قايم على تسخين التبغ مش حرقه .. يعني تقدري تقولي موتة شيك شوية مش زي السجاير أم قطران.

- كلها حاجات بتعمل بزنس لحساب عزرائيل.

ضحك عاليا عندما أدرك أن الطبيبة المتحفظة الوقور، ألقت بدعابة من دعابات عادل إمام في إحدى مسرحياته!

- لا حلوة .. كملي ..

- الموضوع كبير لدرجة مرعبة .. لدرجة خلتني عايزة أرجع على الورق وأقوم أولع فيه وأطهر ايدي بلترين كحول.

- للدرجة دي؟

ثم وضع طرف السيجارة الصغيرة في فمه، وسحب الدخان بهدوء فقالت متابعة:

- البحث بيفترض وجود جنس خارق اسمه المتحولين الثلاثين .. وبيفترض إن ثلاثين بني آدم من اللي كانوا بيقولوا عليهم الآلهة المصرية أو المعبودات المصرية أو النـ .. النـ

- النترات .. جمع نتر ونترت .. كلمة من أحد تفسيراتها .. الخارج عن المألوف أو غير المعتاد

أومأت برأسها وهي ترشف الكابتشينو وتتابع:

- والبحث بيفترض إن الثلاثين كائن دول كانوا بيتمتعوا بقدرات خارقة للطبيعة .. زي التحكم في الرياح والمية والسمع الخارق والنظر الخارق .. وقراءة الأفكار .. وتشكيل المعادن .. والقوة البدنية .. و

- إكس من يعني ..

ابتسم ساخرًا بينما نظرت له مستنكرة، على الرغم من اقتناعها

بالمثال الذي استخدمه:

- يعني برغم تسطيح الفكرة.

- كنت قريت زمان إن كل الأبطال الخارقين دول مستوحيين قصصهم وفكرتهم من أفكار المعبودات المصرية واليونانية والنوردية .. بس يعني مش لدرجة إن حد يصدق فعلًا إن ده كان حقيقة.

مرت سيارة غاضبة من زحام مواقف السيارات، وآثار غضبها بعض قطرات المطر الراقدة في بركة ماء صغير:ة

- الناس خلقها ضيق أوي .. ده أنا قعدت نص ساعة أدور على باركينج.

قالها كريم وهو ينفث دخان السيجارة الإلكترونية الخفيف، بينما سرح بصر إيرين نحو الفتاة اللطيفة ذات القلنسوة، لتجد أمارات السخط وخيبة الأمل تعلو وجهها الجميل:

- طيب يا إيرين .. تفتكري ايه اللي خلاهم اصلا يفكروا في البحث ده بالذات؟

- عادي .. في ناس بتفكر تعمل أبحاث عن أصول سمكة القلعوط المرقط .. وناس مهتمة بزهرة السردبيس الحمراء.

- هو في زهرة اسمها كده؟

- مثال .. إفيه .. حاجة من الحاجات اللي بتحبها أنت والحلواني.

كادت أن تقول، والدكتور علام كذلك، لكنها ابتلعت كلماتها

وصمتت.

- طيب كملي حقك عليا.

- القصة بقى مش البحث سببه ايه .. القصة عملوا ايه بعدها!

ثم رشفت آخر رشفات الكابتشينو، ومسحت ذلك الشارب الأبيض المليء برغاوي الحليب، وتابعت هامسة:

- تجارب غريبة ومريبة .. وعينات دي أن ايه ودم من أكثر من عشرين ألف عينة زي ما سموهم .. والأدهى من كده.. تجارب على مرضى بأمراض خطيرة عشان يختبروا تحمل أجسادهم للألم والمرض ..

- زي ما عملوا في المرحومة مراة العقيد محمد حارس.

- ربط غريب مش فاهماه يا كريم.

اهتز الجهاز بين أصابعه، فأخرج السيجارة بأسنانهوألقاها في المنفضة:

- ده ربط منطقي بعد تحريات الخواجة سميث ..

عدلت عويناتها، ثم قربت وجهها عبر الطاولة المعدنية المستديرة وهي تقول:

- تفتكر محمد حارس ممكن يكون له يد في الموضوع فعلًا؟

- أنا لو مكانه كنت دبحتهم هم الأربعة في ميدان عام.

هم الخمسة بقى .. أصل في عضو خامس في الفريق اللي عمل البحث .. والعضو الخامس ده بالذات هو اللي أنا مستغرباه.

ابتسم كريم وهو يضع سيجارة أخرى في الجهاز:

- قصدك وزير الصحة؟

- ده واضح إن أنت وميري بقيتوا أصحاب أوي!

لامت نفسها من جديد، وسمعت صوت علام الوقور يقاطعهفي جنبات عقلها، وتخيلت ابتسامته الساخرة المنهكة:

- ما تبقيش مكشوفة أوي كده يا بنتي..

- أنا مش مكشوفة .. أنا مش مهتمة أساسًا.

سمعت الضحكة تدوي في رأسها، ثم صوت كريم يقاطعها:

- إيرين .. إيرين!

- ها .. ايوة أنا معاك.

- لا واضح فعلًا.

ابتسامته الساخرة وهو ينفث الدخان الخفيف أثارت غيظها، وجعلتها تتوتر من جديد، لكنه من جديد، أثار إعجابها بذكائه وهو يعود بالحديث إلى البحث الملعون:

- معلومة وزير الصحة دي معلومة تقيلة وشديدة .. وأنا عمومًا وصلتها لواحد من القيادات وهو هيعمل اللازم.

أومأت برأسها بمعنى أن الأمر ليس من شأنها، ثم قالت:

- الغريبة بقى إن البحث مش كامل .. في صفحات منه مفقودة.

- مفقودة ازاي يعني؟

- في حوالي عشرين صفحة مش موجودين في نتايج البحث

.. وبالذات الصفحات اللي بتتكلم عن نتايج تحاليل الدي إن ايه .. واللي قبلها كان في صفحات بتتكلم عن عينات الدي إن ايه اللي اتسحبت من مومياوات اكتشفت من سنتين .. موميا منهم كان طالع عليها إشاعة إنها مومياء أوزيريس.

طقطق بشفتيه معترضًا ثم قال:

- إيرين شكر الله بتناقض منطقها وبتتكلم عن أوزيريس كأنه شخصية حقيقية!

- أوزيريس غالبًا كان شخصية حقيقية.. وكان حاكم لمصر فعلًا.. لكن الأساطير حطته في مكانة الآلهة وعملته إله وحامي العالم السفلي.

مدد ساقيه على سبيل الملل، بينما سألته إيرين وهي تراقب المطر الذي اشتد هطوله فجأة:

- وملف محمد حارس.

- ماله؟

- يعني ايه ماله يا كريم.. عرفت تجمع معلومات عنه ولا لسه؟

- لا جمعتها طبعا .. والموضوع برضه غريب أوي.

ثم اخرج هاتفه المحمول، وفتح قفل الجهاز، ثم نقرت أصابعه الشاشة وهو يقول:

- الملاحظات العامة .. معلش ثواني أصل أنا ذاكرتي بعافية.

- أنت اتجننت يا كريم .. بتسجل ملاحظات زي دي مكتوبة على الموبايل!

- وفيها ايه .. أصل أنا لامم الملاحظات دي من كل الجهات الحكومية ..فكنت محتاج انظمها.. وبعدين ده موبايل ظابط شرطة .. ده غير الحماية اللي على الداتا!

ثم انعقد حاجبيه وهو ما زال يقلب في الملفات:

- اه لقيتها أهي .. بصي يا ستي .. محمد حارس جاد المولى المصري .. الوالد هو السيد جاد المولى عبد الله المصري .. محمد حارس ده اسم مركب .. والده مات وهو عنده ١٣ سنة .. وعاش في بيت اللواء إبراهيم عبد الفتاح .. لحد ما دخل كلية الشرطة واتخرج منها بتفوق .. وبس.

- وبس .. يعني ايه وبس .. فين اللي قبل كده وفين اللي بعد كده؟

نظر لها في عينيها مباشرة، وقال هامسًا:

- من ساعة ما اتولد لحد ما عاش في بيت اللواءإبراهيم .. ومن ساعة ما اتخرج من الكلية ولحد ما بقى مقدم في مباحث العاصمة .. يعني لفترة تزيد عن الـ٣٠ سنة .. مفيش حاجة عنه في الملفات الحكومية كلها .. مفيش حاجة نهائي!

*****

المشهد الخامس

ليل – خارجي

مصحة الشفاء للصحة النفسية - القاهرة الجديدة

صباح التاسع والعشرين من فبراير عام ألفين وثلاثين

تقف سمر خلف الزجاج البراق، وعيناها معلقتان بذلك المقعد الخشبي الأنيق.

هناك، كان يجلس حب عمرها، يتعافى من صدمة حولته إلى وحش بلا رحمة، قبل أن يهرب ويختفي، ولا يعرف له أحدهم طريقًا.

وبجواره، كان يجلس هو.

رجل بدين، له ذقن خفيفة كأنما خلق بها على هيئتها، لا تنبت أبدًا ولا تحلق أبدًا، وشعر قصير ناعم، انحسر عن مقدمة رأسه عريضة الجبهة، وعينان لامعتان تشعان عبقرية.

رحل حب حياتها، وبقي هو.

سمعت صوت النحنحة الخفيفة، فخرجت من بحور الشرود والذكريات، ونظرت إلى يمينها، حيث يقف بجوارها رجل حليق الرأس تماما، يرتدي عوينات طبية أنيقة، ويربي لحية تحيط بفمه.

لا تدري لماذا تذكرها صورته دومًا برهبان الصحاري، ربما لأنه راهب وهب نفسه لهؤلاء المساكين القابعين خلف جدران المصحة:

- ازيك يا آنسة سمر.

- ازيك يا دكتور عادل.

يتبادلان التحية المعتادة، ثم يقف بجوارها صامتًا، لكنه يقطع الصمت من جديد بنفس السؤال الذي يسأله في كل مرة تأتي فيها إلى المصحة:

- بقالك كتير بتفوتي جلساتك!

- وأنت بقالك شهرين بتقولي أنتِ بتفوتي جلساتك.

ابتسم ابتسامته الهادئة المريحة للأعصاب، ثم قال دون أن ينظر لها:

- سيف خلاص بقى قادر يطلع .. ده حتى خد الموبايل دلوقتي وبقى بيتعامل بيه .. بس الغريبة إن هو اللي مش عايز يطلع.

- فاهماه .. بقى عامل زي .. كرهت الصحافة باللي‌فيها .. لكن مش قادرة أسيبها برضه.

- لسه بتشتغلي مع الكائن اللي اسمه ماهر الرفاعي؟

لماذا يكره الجميع ماهر الرفاعي، على الأقل هو أكثر وضوحًا وبجاحة من غيره.

وهي تحب الوضوح دائمًا.

- آهو خالي برضه وأولى من الغريب.

ابتسم من جديد، ثم نظر في ساعته الذكية، وقال في عملية:

- طيب أنا هستأذنك عشان عندي سيشن .. المكان‌مكانك طبعًا .. بس من ورا القزاز.

- هو أنا ممكن أقابل سيف؟

- ممكن طبعًا.. بس هنا .. مش هناك على الدكة الخشب.

نظرت له وعيناها ممتنتان سعيدتان، فمنحها نظرته المشجعة الودود، وقال وهو يغادر المكان:

- وطبعا أنتِ عارفة .. مفيش تدخين هنا.

- مفهوم مفهوم.

ثم راحت تنظر إلى الزجاج من جديد، لترى سيف برأسه الذي انحسر منه الشعر، وعينيه الذكيتين، وهو يعقد حاجبيه ناظرًا إلى رقعة الشطرنج الموضوعة بجانبه على المقعد الخشبي.

ثم ترى أصابعه الممتلئة وهي تقترب من الحصان الأسود، وترفعه عن الرقعة، لتضرب به الملك الأبيض، فيسقط صريعًا وسط رجاله.

ثم ترى التمورجي الأنيق، وهو يقترب من سيف، ويميل على أذنه ليخبره بشيء ما، فيرفع سيف رأسه المستدير، وينظر لها عبر الحديقة الصغيرة نظرة صديق يفتقد صديقًا عزيزًا، ثم يترك رقعة الشطرنج وهو يشير إلى التومرجي محذرًا إياه ألا يلمسها، وكأنه جنرال في معركة حربية.

ثم يأتي نحوها:

- سمر .. ازيك.

- أنا كويسة .. وسمعت إنك أنت كمان كويس.

يبتسم ابتسامته المنهكة نصف الساخرة نصف الحزينة، الشبيهة بصور صلاح جاهين:

- أنا بعرف امثل إني كويس .. وهم بيعرفوا يمثلوا إنهم مصدقين .. يبقى كده المعادلة ناجحة جدًا.

ضحكت بصوت مرتفع، ثم أشارت له كي يجلس على المقعد

الجلدي المريح، وقالت:

- أنا الحقيقة مش جايالك وايدي فاضية .. أنا جايالك برسالة.

- جايالك برسالة .. يا سلام على الاداء .. أنتِ من امتى بقيتِ أوفر كده؟

ضحكت من جديد، ثم نظرت حولها لتتأكد من خلو المكان من أي آذان متصنتة، أو كما تقول هي «مفيش حد بيلمع أوكر» ثم همست:

- رسالة من صديق قديم .. أو بمعنى أصح .. من أخ.

- وايه هي الرسالة دي .. اصل أنا مش شايف معاكِ لا ورق ولا موبايل ولا أي حاجة؟

- لا .. الرسالة مش محتاجة لا ورق ولا موبايل .. الرسالة عبارة عن جملتين.

انعقد حاجباه وضاقت عينه، ثم اعتدل في جلسته المسترخية، وعيناه تقولان «هاتي ما لديك»

- محمد حارس باعتلك السلام وبيقولك .. لما الفيل الأبيض يتحرك.. اهجم بالوزير.

نظر نحوها بعينيه اللامعتين، ثم راح يحرك رأسه يمنة ويسرة

وهو يحرك شفتيه، وكأنه يلوك الكلمات بين شدقيه، ثم هز رأسه من جديد لأعلى وأسفل، ونهض من مكانه فجأة:

- شكرًا يا سمر .. وابقي سلميلي عليه وقوليله هستنى الفيل الأبيض يتحرك.

ثم مد يده لها ليصافحها، فمدت يدها له، ليصافحها على عجل:

- معلش هستأذنك أنا عشان ده معاد التريض.. مبسوط إني قابلتك.

ثم استدار وتركها غارقة في الدهشة. لكنها لم تستغرق الكثير من الوقت، فهزت راسها وكانها تنفض عنها أمطار الدهشة، ثم مشت في اتجاه الاستقبال لتغادر المصحة. فأمامها رسالة أخرى عليها أن توصلها لشخص آخر. شخص يجلس على كرسي متحرك في شقة صغيرة في مصر الجديدة ، شخص يدعى محمود غنيم، أو بمعنى اصح .. أبوها!

*****

المشهد السادس

ليل – داخلي

غرفة التحنيط - مدينة واست

الثاني عشر من خنتي عام ألف وثلاثمائة وثلاث وعشرين قبل الميلاد

نزلت من فوق التل الرملي، ومشت بخطواتي الواسعة نحو المبنى الحجري، والذي تتقدمه مسلة تحمل نقوشًا تحكي قصة انتصارات (آمون حتب حقا) أو (كا نخت خع) كما سماه حور،

على الأساويين المارقين في الشمال الشرقي.

حور، أخي المبارك، ذو العين الواحدة، هو مستشار الملوك الأول، وراعيهم، وحامي عروشهم من الشرور، لذا منح الحق أن يسمي كل ملك باسم من بنات أفكاره هو.

أمشي الهوينى داخل أروقة المبنى، واشم رائحة الهواءالمعبئ بالموت، ومشاعل النار التي تحيط بالممر وبهو المبنى، وغرفة التحنيط الرئيسية.

لي أنف تعرف جيدًا كل الروائح حتى التي لا يشمها غيري، ولي أذن تسمع صوت الأفكار وهي ما تزال تولد من جنبات العقل.

يستقبلني أحد الحراس، وهو ينحني نصف انحناءة، ثم يشير لي إلى الطريق نحو غرفة التحنيط الكبرى، حيث يرقد جسد الملك الشاب.

أشير له أن يتقدمني، ثم أجوب بعيني الحوائط التي تزينت بالنقوش والرسوم الملونة.

وجه أبي أوزير الأخضر، وتاجه الأبيض الأملس، وهو يجلس على عرشه الخشبي، ويقف على كتفه صقر يرتدي تاجًا مستديرًا، وأمامه حور في هيئته الأصلية.

مراهق في أول أيام بلوغه، له رأس صغير، ويرتدي فوقه قناعًا على هيئة رأس صقر.

نقوش تحكي عن قصة أوزير، وإست، وست الذي جاء من الغرب ثم عاد إليه، وعين حور التي دفعها ثمنا لحماية أبيه،

وعلى آخر الحائط العظيم، صورة لرجل أسمر البشرة، يرتدي قناعًا أسود على هيئة ابن آوى، ويقف فوق طاولة الميت، وهو يرش جسده بالملح.

صورتي أنا.

أنا أنبو، الملكي، ابن أوزير، أو ما يعرفونني الآن بقارئ الموتى.

أنا لا أقرأ الموتى، أنا أعرف جيدًا كيف أشم رائحتهم، وأرى ما ظهر على أجسادهم، وأتفحص بأصابعي أعضاءهم، وأفحص أحشاءهم وأمخاخهم لتبوح لي بأسرارهم.

ثم أغسل أجسادهم، وأدهنها بزيوت الحفظ، وألفها بالكتان المقدس، ثم أودعها تابوتها، كي تلقى ربها يوم الدينونة وهي في كامل هيئتها.

هذا ما علمه لي أوزير، وهذا ما علمته لمن يسمونهم الكهنة.

لكن الملوك لا يمسها يد سوى يدي.

فأنا فقط من يفحص الملوك، ويحنطهم، ويقودهم نحو مثواهم الأخير، راقدين في انتظار القيامة يوم الدينونة.

- مرحبًا بك يا سيدنا .. الجميع في انتظارك!

يقولها أحد هؤلاء الكهنة، الملتحف بفراء فهد مرقط، ثم يحني رأسه الأصلع وهو يشير لي بيده كي أتقدمه إلى غرفة التحنيط الكبرى.

وعلى الباب، أقابل ذلك الثعلب العجوز، الرجل الذي حكم البلاد من خلف عرش الملك الصغير، بعد أن باع أباه الحالم الطاهر

للكهنة، ووقف يتفرج عليهم وهم يغرسون حرابهم في جسده.

- سلام عليك أيها الملكي ابن أوزير .. مبارك أنت متى حللت.

كيف أكون مباركًا متى حللت أيها المنافق، وأنا لا أخرج من عزلتي وأحل عليكم إلا ساعة الموت!

- هل غسلتم جسد الملك؟

ينظر الكهنة إلى بعضهم البعض، ثم يقول كبيرهم في خوف حقيقي:

- لا يقوى أحدنا على لمسه قبل أن تحضر .. وإلا مزقنا حور وألقى بنا إلى الصقور تنهش في لحومنا.

حور الصغير لا يرحم من يترك القواعد، لكنه لا يمانع أنيكذب الكهنة على العامة مقابل أن يجلس هو وآمون ورع على عروش ذهبية، وأن يقدسوهم من دون الرب الخالق!

- إذن فلتتركوا الغرفة .. عدا كبيركم.. ولا يدخل أحدكم إلا عندما أطلبه..

أومأ الجميع برؤوسهم خاضعين خانعين، وسبقني كبير الكهنة مسرعًا وهو يكاد يسقط على وجهه، بينما مشيت أنا إلى الغرفة في ثبات، ثم فتح لي الحارس الباب الخشبي.

وقبل أن أخطو إلى الغرفة، تنحنح أي العجوز، وهو يمسح برأسه صلعته اللامعة المدهونة بزيت أزهار الياسمين العطرة، ومن خلفه يقف قائد الجند بقامته التي تشابه مسلة أمون حتب حقا في هيئتها وصلابتها

- سيدي .. هل تسمح لنا بكلمة أنا وحورمحب قبل أن تباشر

في حفظ جسد مولانا الملك الراحل.

التفت نحوه في هدوء، بينما تتصاعد الترانيم من أفواه الكهنة.

ترانيم عن آمون الذي يحمي روح الملك الراحل، وأوزير الذي ينتظره على عرشه الذهبي في العالم الآخر، وتحوت الذي يزن قلبه، وتاورت التي تتسلمه من أنبو لتقوده عبر أنهار الخطايا نحو جنة الخلد الأبدية.

اللعنة عليكم أيها المدنسون المدلسون!

- ماذا تريدون أيها الوزير؟

نظر أي إلى حورمحب، قاتل سيده، وخائن مليكه، ثم قال:

- نحن نعرف حرصك على تأدية واجبك الذي كلفه بك أوزير المقدس.

لم أتكلم أو أتنفس، بينما استلم منه حورمحب طرف الكلام:

- وأنت تعلم كم نحن حريصون على سلامة وأمن كيمت من الشرور والمتربصين.

بالتأكيد، وإلا ما كنتم قتلتم مليككم الشريف الطاهر، بعد أن دنستوا سمعته، وأغرقتموه في الخلافات والنزاعات والمكائد، حتى كادت كيمت تضيع.

- كما أنك تعلم أنني وبعد مشورة مجلس المستشارين الأعلى .. سوف أتزوج أرملة الملك الراحل .. حتى يستقر الأمر .. وحتى يخرج حورمحب على رأس الجيش لتأديب الأساويين المارقين.

لم احرك عضلة واحدة في وجهي، حتى أن الاثنين نظرا لبعضهما في دهشة، ثم قال أي:

- لذا نرجو منك أن تسرع في الأمر .. حتى يستقر الأمر أسرع.

ثم نظر إلى حورمحب نظرة مترجية مستعطفة، فهز الأخير رأسه ثم عاد ينظر لي في ثبات:

- بأسرع ما يكون أيها الملكي المبارك.

نظرت لهما مطولا، نظرة متفحصة، نظرة تمسح أعينهم ووجههم، وعيناي تتفحص عيونهم بدقة ، نسيت أن أخبرك أمرًا.

إن لي عينين تعرفان جيدًا كيف تقرآن العيون، وتقيس أي حركة غير طبيعية في وجوه الناس وأجسادهم.

بالمختصر، عينان كاشفتان للكذب.

وعيناي تخبرانني أن أي وحورمحب يخفيان أمرًا.

ويريدان مني أن أشاركهم في هذا الأمر.

- سوف أدخل إلى هذه الغرفة الآن .. وأقوم بواجبي الذي كلفني به أوزير المبارك وهو على فراش الموت .. وسأخذ وقتي في عملي وعندما أنتهي .. ستعرفون .. وساعتها يمكنكم أن تتزوجوا وتسيروا الجيوش وتتقاسموا العرش الذهبي.

ثم استدرت موليهم ظهري، وأنا اسمع صوت أفكارهم وهمساتهم هؤلاء السفلة ارتكبوا خطيئة ويرودون مني أن أدفنها لهم في باطن الأرض.

وما أن دخلت إلى الغرفة، حتى أغلق كبير الكهنة الباب خلفي،

ثم خلع رداءه المصنوع من جلد الفهد، وغسل يديه بماء الورد، ثم وقف منتصبا ينتظر الأوامر.

بينما رحت أنا أتشمم الهواء، وأميز فيه رائحة البخور، ورائحة الرطوبة في أركان الغرفة، ورائحة الزيت المغلي، ورائحة الدم المتخثر فوق رأس الملك.

لكني لا أرى دمًا على رأسه!

- ألم تقل لي بالخارج أنكم لم تلمسوا الجسد!

- بلى يا سيدي .. لم يمسسه أحدنا.

نظرت من جديد إلى الجسد المتمدد أمامي فوق الطاولة الرخامية، فاقتربت من رأسه، وعدت أتشمم الهواء من جديد.

هناك دم متخثر، دم غسل بحرفية وإتقان، وغطي الجرح بعدها بقطعة من القطن المغموس في زيت الكتان، ثم مسح به وجه الملك الشاب.. مددت يدي، ورحت أتحسس رأسه الصغير المقوس، حتى وجدته.

- قل لي من جديد .. من وجد الملك ميتًا صباح أول أمس؟

سألته وأنا أتحسس مؤخرة الرأس، وأجنابه بأطراف أصابعي بحثًا عن شيء ما، فقال:

- مربيته وخادمته إست نفرت.

غمغمت بشيء لم أفهمه أنا نفسي، ثم نزلت بيدي أتحسس صدر الملك المتوفي وأضغط على أعلى بطنه، ثم فتحت فمه وشممت رائحته:

- هل كان الملك مريضًا بداء عضال؟

- كان يقيء دمًا وعصارة كل صباح وكل مساء .. ولم‌تفلح كل خلطات الزيوت في شفائه.

- ولماذا لم تراسلوا تحوتي؟ حتى يأتيكم بعلاجه؟

صمت، صمت كأنه مصطبة تنتصب فوق قبر مظلم في قلب صحراء جرداء، ثم خفض رأسه موصلًا لي رسالة واضحة.

الأمر ليس أمره والمشورة ليست مشورته. عدت أتشمم فم الملك الشاب، ثم مددت يدي إلى حقيبة القماش التي أحملها في ترحالي، واخرج عصا معدنية صغيرة، ورفعت بها طرف أرنبة أنفه، وأنا أنظر بعيني داخلهما.

الدم في كل مكان، داخل الأنف وحول فتحتها، والشعر في أنفه مختلط بدم قديم يبدو سائلًا من قبل الوفاة.

مددت العصا قليلًا داخل الانف، وأنا أغمض عيني، وأتذكر كلمات تحوتي.

- العصا لا بد أن تكون مرنة كعود القش.. وصلبة كالرمح .. انتق عصاك حتى لا تؤذي المخ ولا تهين جسد المتوفي.

العصا تغوص في أنف جسد الملك الميت، صاعدة إلى مخه، ثم أخرجت المطرقة الصغيرة، ورحت أضرب الضربات التي علمني إياها أوزير.

- لا تضرب بقوة كالثور .. ولا تكن لينًا ضعيفًا كالعصفور .. بل أوسط قوتك حتى لا تؤذي المخ.

أسمع صوت العظام وهي تنفتح، فأخرج العصا من الانف،

وأخرج من الحقيبة تلك العصا ذات الخطاف، والكاهن الأكبر يدير رأسه بعيدًا حتى لا يشهد لحظة خروج المخ من الانف.

- أحضر لي الوعاء الأول .. ووعاء الزيت المغلي!

يتحرك مسرعًا إلى القدر الصغير في ركن الغرفة، ويأتيني بإناء فخاري صغير، وضع فيه الزيت المغلي، فأغمس فيه العصا، وأديرها مرتين كما علمني أوزير.

ثم أدخل العصا بخطافها في الأنف، وأشق طريقها نحو المخ.

وأقف مشاهدًا مخ الملك الشاب، وهو يخرج من أنفا سائبًا كالمخاط المتجمد، ثم أرفعه إلى الوعاء الفخاري.

وما أن انتهيت، حتى وضعت العصا بجانب الرأس، ثم رحت أتشمم الوعاء وأنا أقول:

- اكتب في سجلك أن المخ فيه جزء تالف.. وهو من أثرضربة أو صدمة فوق الرأس .. عمرها يومان إلى أربعة أيام .. وأننا وجدنا بقايا دم متخثر فوق جبهة الملك في منتصف رأسه.

غمس القلم المصنوع من البوص في المحبرة، وراح يخط الرموز فوق أوراق البردي الجافة، وأنا أخرج السكين المعقوف من كيسي القماشي الخشن، وأبدأ في شق بطن الملك الراحل.

وبينما أبدأ، توقف صوت القلم فوق الورق، وظل متوقفًالفترة، فقلت دون أن أدير وجهي عن الجثمان الراقد:

- لماذا توقفت عن الكتابة؟

- كيف عرف سيدي أن هناك آثار دماء على الرأس .. فأنا لا أرى أثرًا لأي دماء.

كدت ألتفت نحوه، وأرميه بنظرة تجمد الدم في عروقه، إلا أنني قلت في برود أتى بنفس التأثير أو أشد:

- اكتب ما أمليه عليك فقط .. ولا تسأل عما لا يفيدك.

سمعت صوت القلم وهو يواصل الحركة فوق الورق الجاف، بينما أنهيت شق بطن الملك الصغير، وهنا توقفت، ونظرت مليًا إلى أحشائه.

لون الأمعاء ليس من المفترض أن يكون هكذا.

مددت يدي، ولمست كبده التالفة، ورحت أتحسسها بأطراف أصابعي

- واكتب أن كبد المتوفي تالفة .. وأن أحشاءه داكنة اللون .. وهناك تقلص في معدته .. وأن...

ثم صمتُّ فجأة، بسبب ما رأيته. هناك على طرف الجلد، فوق قلبه، في منتصف صدره المتهدل، رأيت الثقبين.

ثقبين صغيرين جدًا جدًا، بحجم الخيط، لا يلاحظهما إلا عين مثل عيني.

عيني ابن آوى على شكل إنسان.

- اكتب إننا وجدنا ثقبًا صغيرًا في موضع القلب.. وأنه مغطى بالدهن .. وعلى أطرافه جف الدم.

ثم وضعت أصابعي فوق الثقبين، وأغمضت عيني.

أغمضتها وأنا أتحسس الصدر فوق الثقبين.

أصوات الترانيم تتعالى الآن من بهو المبنى، تدعو إلى الامتثال إلى أوامر آمون، وتمجيد رع، والاستعداد للحساب أمام عرش أوزير، والخوف من ست الذي ينتظر مع عمعموت فوق فوهة الجحيم، وماعت التي تخلع ريشتها لتزن به القلب المكلوم، ثم تعود إلى آمون، الذي يهب ويعطي، ويتوسط للمغفرة.

كلام دجالين، يراد به باطل، يبيعونه للعامة أمام المعبد مقابل إوزة وصحن شعير.

تحدث إلي أيها القلب، تحدث اللي أيها الجسد الساكن، بوحي لي أيتها الأحشاء الداكنة بسرك.

صوت اضطرام النار في المشاعل، وصوت صراصير الليل حول المعبد، وصوت نعيق بومة يأتي من بعيد. وصوت بنات آوى تعوي خلف التل، تذكرني بأني ربيبها المقدس الذي تفخر به وبما يفعله.

أنت حنطت أوزير، وسخمت، وخدعت ست، وطيبت جرح حور.

أنت ابننا الملكي، فاسمع صوت الحق يخرج من بين أحشاء الميت. وهنا جاءتني الغفوة.

رأيت توت الصغير، يأتيني مستندًا على عصاه، وصدره المتهدل مزين بحلي الذهب التي صنعها له إيحي ابن حتحور، والذي

أجرى الرب في يده تشكيل الصلب والحجر، وهو يبتسم لي.

أسمع صوته الرقيق يسري في رأسي كسريان النهر العظيم.

- السلام عليك يا ابن آوزير .. دعوتني فجئت.

- السلام عليك يا ابن أخناتن الشريف..

صوت العصا يسري في رأسي، والقلب ينبض مسرعًا، مفصحًا عن كل أسراره:

- لقد قتلوني يا أنبو .. قتلوني.

- أعرف يا مليكي .. اعرف .. رأيت الدم فوق رأسك .. ورأيت العطب في مخك .. وشعرت بالثقبين فوق قلبك .. لكني لا أعرف لما أحشائك قد صارت في لون الطين.

اكفهر وجهه الصغير، وراحت هالة الضوء على وجهه تخفت، ثم قال:

- ليس كل الموت دمًا وطعنًا يا أنبو .. أعرف من كان يدخل مخدعي في الليل .. تعرف ما قتلني.

أنظر له، فيومئ برأسه وعيناه الخاويتان تنظران لي في رجاء:

- لا تكن عونا لهم يا ابن آوزير .. لا تتركني في قاع الظلام بقلب عليل.. لا تتركني يا أنبو .. لا تتركني .

ثم تخفت الرؤيا، ويعود صوت عواء الكهنة إلى أذني، وتستعر المشاعل فتأكل النار قماشها المليء بالزيت، ويعود صوت القلم للجري فوق الورق.

وأفتح عيني لتصدمني ملامح وجه الملك الصغير، النائم في

سلام أخيرًا.

أسحب أنفاسًا متلاحقة من الهواء، وأزفرها بهدوء حتى يهدأ قلبي.

ثم أقف منتصبًا، وألتفت إلى الكاهن الجالس خلف طاولة الكتابة:

- اؤمر الحراس أن يأتوا بسيدهم حور.. أخبروه أن أنبو يريده!

نهض الكاهن من مقعده، وترك قلم البوص فوق الأوراق، ثم قال وهو يدفع الكلام دفعًا من فمه المرتعش:

- هل من خطب في الأمر يا سيدي؟

هذه المرة، رميته بتلك النظرة الغاضبة الصارمة، فتجمد الدم في عروقه، ثم تراجع خطوتين إلى الوراء:

- اذهب وأخبر الحراس .. وقل لهم أن ينقلوا له كلامي بلا نقصان.

بينما ألتفت أنا من جديد إلى وجه الجثمان المسالم الراقد فوق الرخام الأملس:

- أخبروه أن أنبو يقول لك .. الملك لم يمت بسبب الحمى ولا بسبب المرض.

ثم أغمضت عيني وقلت بصوت أشبه بالهمس:

- الملك توت قتل .. قتل مسمومًا بلدغ الحية.

يتبع